(جعل أصحاب النار ملائكة وجعل عدتهم تسعة عشر وجعل هذا العدد فتنة للذين كفروا)

قال تعالى في سورة المدثر ٣١-٢٦ (سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب وليزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنين وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو ما هي إلا ذكرى للبشر).

(ما قاله المفسرون في معاني هذه الآيات وبيان ضعف تفاسيرهم)

اتفق المفسرون على أن المراد بضمير المفعول في قوله (سأصليه هو الوليد بن المغيرة الذي قال الله عنه قبل هذه الآيات (ذرني ومن خلق وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبد ويسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر) إلى آخر الآيات المتقدمة.

وقالوا في معنى هذه الآيات أن الله تعالى أراد أن يهدد الوليد بن المغيرة على أعماله مع رسول الله (ص) بأن سيصليه يوم القيامة سقرا التي لا بتقي ولا تذر من العظم واللحم شيئا حتى تحرقه أو التي لا تبقي ولا تذر من المستحقين للعذاب أحدا إلا عذبهم بنارها والتي هي (لواحة للبشر) أي مغيره للون بشرتهم بسبب الإحراق أو مشيرة إليهم للدخول فيها لإحراقهم.

أقول (أولا) إن الله تعالى لم يذكر هنا (يوم القيامة) حتى يرجع الكلام إليها ويؤجل إليها ذلك (ثانيا) إن الله تعالى قال (سأصليه) والتعبير بالسين يدل على القريب العاجل فيلزم أن يكون الإصلاء قريبا في الدنيا (ثالثا) إن التهديد لا يكون له أثر ومفعول في نفس المهدد إلا إذا حصل له ما يهدد به في حال حياته (رابعا) إن المهدد به لا يكون دالا على صدق المهدد ومعجزة له ومفيدا للناس إلا إذا رآه الناس بالفعل في حال حياتهم حتى يؤمنوا بالرسول في الدنيا حال حياتهم أيضا وحتى يعتبروا بهذا التهديد ويتعظوا برؤية أثره فيهم.

(ما أفهمه في المراد من سقر ومن التسعة عشر ومن جعل أصحاب النار ملائكة ومن جعل عدتهم فتنة للذين كفروا خلافا للمفسرين في ذلك)

إنني أرى أن المراد بسقر هنا نار الحرب التي حصلت بين المسلمين والمشركين وأصلي فيها الوليد بن المغيرة كما أصلي بها أيضا بقية المشركين بحيث لم تبق ولم تذر أحدا منهم إلا أهلكته أو غيرت حاله من الكفر إلى الإيمان ولوحت به وأشعرت نفسه بذلك.

ثم قال تعالى (عليها تسعة عشر) قال المفسرون نقلا عن الواحدي أي على نار جهنم يوم القيامة تسعة عشر ملكا خزنة لها وهم مالك وثمانية عشر ملكا آخرون أعينهم كالبرق وأنيابهم كالصياصي وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أ؛دهم مسيرة سنة يسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منهم الرأفة والرحمة يأخذ أحدهم سبعين ألفا في كفه ويرميهم حيث أراد من جهنم.

أقول: ويحتمل أن التسعة عشر هم عظماء المسلمين وكبراؤهم وقوادهم الذين كانوا قائمين بأمر الحرب يوم بدر التي كانت نار سقر للمشركين كما يدل على ذلك ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه حينما نزل قوله تعالى (عليها تسعة عشر) قال أبو جهل لقريش (ثكلتكم أمهاتكم أن ابن أبي كبشة يقول إن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الجمع العظيم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فأوحى الله إلى رسوله أن يأتي أبا جهل فيأخذ بيده في بطحاء مكة فيقول له (أولى لك فأولى)فلما فعل ذلك به رسول الله (ص) (قال أبو جهل أتوعدني يا محمد والله ما تستطيع لي أنت ولا ربك شيئا فأخزاه الله يوم بدر) انتهى. فهذا الحديث صريح في أن التسعة عشر إنما هم رجال من المسلمين وأن النار هي نار الحرب يوم بدر كما يصرح بذلك قوله في الحديث (فأخزاه الله يوم بدر) وفي هذه الحرب أراد أبو جهل أن يجعل كل عشرة من المشركين في مقابل رجل واحد من المسلمين وقد حصل ذلك فعلا فإن المشركين كانوا فيها عشرة أمثال المسلمين.

ومن العجيب أن المفسرين مع كونهم قد نقلوا الحديث المتقدم في تفاسيرهم فإنه لم يخطر ببال واحد منهم أن يفسر نار سقر بنار الحرب في الدنيا بل جعلوها يوم القيامة حسب عوائدهم من أنهم متى وجدوا لفظ سقر أو نار جهنم أو لظى أو جنة أو نعيم جعلوه للآخرة فقط لا غير ولذلك فإنهم كثيرا ما يقعوا بسبب ذلك في حيص بيص في تفسير كثير من الآيات..

ثم قال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) وقال المفسرون أي ما جعلنا خزنة النار يوم القيامة إلا من ملائكة لأن قوتهم أعظم من قوة الإنس والجن (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أي خصصناهم بهذا لعدد إلا امتحانا واختبارا لهم هل يصدقون بذلك أم يستهزئون ويقولون لِم لم يكونوا عشرين مثلا وما هو المقتضى لتخصيص هذا العدد وكيف يكمن لهذا العدد القليل أن يفي بتعذيب الخلائق أجمعين يوم القيامة أي ومتى استهزؤا بذلك ولم يصدقوا به فقد وقعوا في الضلال واستحقوا العذاب والنار هذا هو تفسير المفسرين في هذه الآية.

(تفسير المفسرين لهذه الآيات يرد عليه عدة إشكالات مع بيان الأدلة والواضحة على تفسيرنا أقرب للعقل وأحسن انطباقا على معنى هذه الآيات)

أقول لا يخفى ما في هذا التفسير من نسبة الأمور الغير لائقة لله تعالى إذ لا يعقل أن يوجد الله أسبابا لإيقاع خلقه في الشك والاستهواء بكلامه وأن يكون هو المتسبب في ضلالهم واستحقاقهم العذاب والنار على أن اختبار الناس وامتحانهم بذلك يوم القيامة لا فائدة فيه أبدا لان الآخرة دار جزاء لا دار اختبار وامتحان فلا فائدة من امتحانهم في ذلك اليوم.

ولذلك فإني أرى الأقرب أن تكون معاني هذه الآيات حاصلة في الدنيا أي ومما جعلنا أصحاب النار لتعذيب وإهلاك كفار قريش الذين منهم الوليد بن المغيرة المحدث عنه وأبو جهل وغيرهم إلا ملائكة من المسلمين الذين هم كبار الصحابة

وصلحاؤهم ولفظ الملائكة يطلق في اللغة على الصالحين من الناس كما يطلق لفظ الشياطين على شياطين الإنس أي وما جعلنا عدة هؤلاء القائمين بإهلاك الكافرين في وقعة بدر تسعة عشر فقط إلا فتنة للذين كفروا أي اختبارا وامتحانا لقوتهم فإن المسلمين الذين كانوا لا يزيدون عن عشرة المشركين والذين كان قوادهم تسعة عشر فقط قد غلبوا وأهلكوا المشركين الكثيرين والذين كان قوادهم يزيدون عن السبعين.

ويحتمل أن يكون معنى الفتنة هنا الافتتان والاغترار أي أن قلة عدد المسلمين وقلة عدد قوادهم قد كان سببا قويا في افتتان المشركين واغترارهم بكثرة عددهم وعدد قوادهم وكان ذلك سببا داعيا لهم في خوضهم غمار الحرب مغترين بكثرة قوتهم وقلة عدد المسلمين وضعفهم في أعينهم ولذلك قال تعالى (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) وعلى هذا التفسير يظهر واضحا معنى جعل التسعة عشر فتنة للذين كفروا وتظهر أيضا فائدة هذه الفتنة ومنفعتها وهي إهلاك المشركين وظهور أمر المسلمين وغلبة دين الإسلام على سائر الأديان ولذلك قال تعالى بعدها (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا) فإن معنى هذه الآية على مقتضى تفسيرنا هذا واضح ظاهر وهو أن غلبة المسلمين القليلين الذين عدة قوادهم تسعة عشر على المشركين الكثيرين الذين عدة قوادهم سبعون يجعل أهل الكتاب الموجودين في جزيرة العرب المشاهدين لذلك يستيقنون بصحة دين الإسلام وقوة إيمان المسلمين وشجاعتهم فيميلون إليهم ويتبعون دينهم ويجعلهم يستيقنون أيضا بفساد عقيدة المشركين وضعفهم وجهلهم فيبتعدون عنهم وينفرون منهم كما أن ذلك جعل المؤمنين يزدادون إيمانا فوق إيمانهم.

أما على تفسير المفسرين فإنك لا تجد لهذه الآية معنى مقبولا فإنهم قالوا في معناها إن الله تعالى جعل عدة خزنة النار يوم القيامة تسعة عشر ليستيقن الذين أوتوا الكتاب بذلك حيث أنه يوجد في كتبهم أيضا أن خزنة النار تسعة عشر وليزداد الذين آمنوا بصحة هذا العدد حيث أخبرهم الله عنه في القرآن الكريم إيمانا فوق إيمانهم.

وأنت ترى أن هذا التفسير ونحوه من كل تفسير يجعل ذلك يوم القيامة لا ينطبق على معاني هذه الآيات تمام الانطباق إذ لا معنى ولا فائدة لاستيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين إيمانا يوم القيامة كما أنه لا يكون معنى لقوله تعالى (وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) ولذلك فغن المفسرين احتاروا جدا في تطبيق معاني هذه الآيات بعضها مع بعض على مقتضى جعلهم ذلك في يوم القيامة. ولكن لو جعلوه في الدنيا لذهبت الحيرة وانحلت المشكلة إذ يكون معنى قوله (وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي أن المنافقين والكافرين حينما يسمعون أن الله تعالى قد جعل أصحاب نار الدنيا وعذابها الذين هم رجال مثلهم ملائكة وأنه جعل عدتهم تسعة عشر فقط يستغربون ذلك ويقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا وكيف تكون الرجال وأصحاب ال)عذاب والنار ملائكة وكيف أن التسعة عشر يغلبون الألوف ولكن حيث أنه حصل ذلك فعلا وشاهدوه عيانا فقد علموا وقتئذ أن إخبار الله بذلك صحيح وأن إنباءه قبل وقوعه إنما هو معجزة لرسوله فيشفي بذلك ويبرأ بعض من في قلوبهم مرض من مرضهم ويؤمن بعض الكافرين ولذلك قال تعالى بعدها (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) أي بمثل ذلك يهدي الله من شاء له الهداية ويبقى في ضلالة من شاء بقاءه في الضلالة.

ثم قال تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أي وما يعلم الجنود التي تقاتل وتعذب الكافرين في الدنيا لإعلاء كلمة الله إلا هو لأنه تعالى يرسل من عنده لتعذيب الكافرين به جنودا غير الجنود المشاهدة كما قال تعالى (وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) والقرآن الكريم كثيرا ما يعني بتعذيب الكافرين وباصلائهم سقر ونار جهنم أمورا في الدنيا كقوله تعالى (وما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) وقوله (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على أن العذاب والنار وسقر ونحوها قد تكون في الدنيا أيضا كما هي في الآخرة. ثم قال تعالى (كلا والقمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر) إن هذه الآية تقسم أن ما وعد الله الوليد بن المغيرة وبقية المشركين من العذاب بقوله (سأصليه سقر) التي لا تبقي أحدا منهم ولا تذر إنها إحدى الكبر أي أن سقر إحدى الأمور الكبيرة التي سيرونها وهذا يدل على أن المراد بها سقر الدنيا لأنها هي التي يكون لها أخوات وهي إحداهن أما سقر الآخرة فهي الكبيرة التي لا نظير لها ولا أخت حتى يقال عنها (إنها لإحدى الكبر) بل الذي لها ذلك إنما هي سقر الدنيا ولذلك عبر عنها بقوله (نذيرا للبشر) إذ أن النذير للبشر يجب أن يكون في الدنيا حتى يعتبر ويتعظ به البشر وينتفعوا به في حياتهم. وأما أمور الآخرة فلا يقال عنها أنها نذير إذا لا فائدة ولا لزوم للإنذار وقتئذ كما أن قوله تعالى قعدها (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) دليل أيضا على أن ذلك في الدنيا إذ أن ما يوجب التقدم والتأخر لا يكون إلا في الدنيا أي أن ما حصل للمشركين من الهلاك والعذاب بسقر الدنيا إنما هو نذير للبشر لمن أراده منهم أن يتقدم بالإيمان والدخول في دين الإسلام أو يتأخر بالبقاء على الشرك والجهل والطغيان وعليه فقد ظهر أن هذه الآيات لا تغني أمورا في الآخرة وإن أجمع عليه المفسرون.